

سلسلة سفر الأمثال

(الحلقة الثالثة) شكري حبيبي

مقدمة: كتبتُ هذه السلسلة من الدراسات حول سفر الأمثال في حلقات إذاعية. بُثت من بعض الإذاعات المسيحية الموجهة إلى العالم العربي. وسأحاول صياغة بعض منها في سلسلة مقالات متتالية.

نتابع اليوم دراستنا لسفر الأمثال. وكنا بدأنا بدراسة القسم الأول منه، والذي هو بعنوان «حكمة للشباب» حيث تأملنا بالدرس الأول.

يعالج سليمان الحكيم مشكلة هامة يواجهها المراهقون والشباب، ألا وهي سهولة انجرارهم وراء شهوات الجسد، وانخداعهم بالإغراءات الفاسدة. وحذرهم منها في نفس الوقت. فكتب قائلاً:

« يَا ابْنِي، أَصْنَعْ إِلَيَّ حِكْمَتِي. أَمَلْ أُنْذِكَ إِلَيَّ فَهَمِي، لِحِفْظِ النَّدَابِيرِ، وَلِتَحْفَظَ شَفَتَاكَ مَعْرِفَةً. لِأَنَّ شَفَتِي الْمَرْأَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلًا، وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ، لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا مَرَّةٌ كَالْأَفْسَنْتَيْنِ، حَادَّةٌ كَسَيْفِ ذِي حَدَّيْنِ. قَدَمَاهَا تَنْحَدِرَانِ إِلَى الْمَوْتِ. خَطَوَاتُهَا تَتَمَسَّكُ بِالْهَوَايَةِ» (أمثال ٥: ١-٥).

يصور سليمان الحكيم المرأة الغريبة الفاسدة أو الزانية، التي تحاول إغراء الشاب المراهق بجسدها. ويحذر الشاب من هذه المرأة، ويكشف له عن النتائج الوخيمة لخطيئة الزنا على حياته. إذ أن عاقبتها مرة كنتاول الافسننتين الذي يرمز إلى الألم الشديد. وكما أن السيف حاد وقاتل، هكذا خطيئة الزنا مع المرأة، تدمر حياة الشاب وتسير به نحو الهلاك والموت.

وأضاف سليمان الحكيم محذراً الشباب وداعياً إياه إلى الابتعاد عن المرأة الزانية فقال: « أَبْعُدْ طَرِيقَكَ عَنْهَا، وَلَا تَقْرَبْ إِلَيَّ بَابَ بَيْتِهَا، لِئَلَّا تُعْطِيَ زَهْرَكَ لِآخَرِينَ، وَسِنِينَكَ لِلْقَاسِي. لِئَلَّا تَتَشَبَّعَ الْأَجَانِبُ مِنْ قُوَّتِكَ، وَتَكُونَ أُنْعَابُكَ فِي بَيْتِ غَرِيبٍ. فَتَنْوَحَ فِي

أَوْ آخَرَكَ، عِنْدَ فَنَاءِ لَحْمِكَ وَجِسْمِكَ، فَتَقُولَ: «كَيْفَ أَنِّي أَبْغَضْتُ الْأَدَبَ، وَرَدَلْتُ قَلْبِي التَّوْبِيخَ! وَلَمْ أَسْمَعْ لَصَوْتِ مُرْشِدِي، وَلَمْ أَمَلْ أُنْذِي إِلَيَّ مُعَلِّمِي. لَسُوْلًا قَلِيلٌ لَكُنْتُ فِي كُلِّ شَرٍّ، فِي وَسْطِ الزُّمْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ» (أمثال ٥: ٨-١٤).

بعد أن كشف سليمان الحكيم عن العواقب الوخيمة لخطيئة الزنا، دعا الشاب للابتعاد عن المرأة الزانية، وأن لا يحاول الاقتراب حتى إلى باب بيتها. محذراً الشاب أن الوقوع في حبال المرأة الزانية يعني ذهاب زهرة العمر بتدمير صحته، وضياح أتعابه أو أمواله سدى. وليس هذا فحسب، بل إن الشاب الذي يقع في خطيئة الزنا، لا بد أن يأتي يوم يندم فيه ويتحسر على تلك الأيام التي أضاعها، ويتأسف لأنه لم يسمع لصوت النصيحة والتحذيرات الكثيرة التي وُجّهت إليه من قبل المرشدين، ومن قبل كلمة الله الحيّة. لاسيما أن سمعته تكون أيضاً قد تلوّثت في وسط مجتمعه. حقاً إنه وصف بليغ لنتائج خطيئة الزنا.

وبعد أن تحدّث سليمان الحكيم عن أهمية كلمة الله في حفظ الشاب من الوقوع في خطيئة الزنا. كتب قائلاً: « لِحِفْظِكَ مِنَ الْمَرْأَةِ الشَّرِيرَةِ، مِنْ مَتَلَقِ لِسَانِ الْأَجْنِبِيَّةِ، لَا تَشْتَهِيَنَّ جَمَالَهَا بِقَلْبِكَ، وَلَا تَأْخُذْكَ بِهَيْبَتِهَا. لِأَنَّهُ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى رَغِيفِ خُبْزٍ، وَامْرَأَةٌ رَجُلٌ آخَرَ تَقْتَنِصُ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ» (أمثال ٦: ٢٤-٢٦).

حذر سليمان الحكيم الشاب من الانخداع بكلام المرأة الشريرة المتملق الحلو. واشتهاء القلب لجمالها. وكشف سليمان الحكيم حقيقة هامة وهي أن الوقوع في براثن هذه الخطيئة سيُفقر الإنسان، إلى درجة أنه لن يعود بإمكانه تأمين رغيف الخبز لنفسه ولعائلته. فهل هناك أبشع من هذه الحالة أن يصبح الإنسان عبداً للشهوة، إلى حد أنه لن يستطيع تأمين

إلى الفخ. وحذر الشاب من طرق المرأة الزانية، «لأنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء. طرق الهاوية بيتها، هابطة إلى خدور الموت» (أمثال ٧: ٢٦-٢٧).

لقد حذرنا الرب يسوع المسيح وكذلك الرسل الأوائل في العهد الجديد من خطيئة الزنا. فكتب الرسول بولس قائلًا: «أهربوا من الزنا. كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده» (١ كورنثوس ٦: ١٨). هل تدري صديقي الشاب، أن خطيئة الزنا هي الخطيئة الوحيدة التي تخطئ فيها إلى جسده؟ والسبب لأنك بالزنى تدخل في علاقة غير شرعية وتتحد مع شخص آخر. إذ كما قال الرسول بولس أيضاً: «أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد؟ لأنه يقول: «يكون الاثنان جسداً واحداً» (١ كورنثوس ٦: ١٦).

بعد أن حذر سليمان الحكيم من عواقب خطيئة الزنا المريرة ونتائجها، كشف عن العلاقة الزوجية المقدسة والظاهرة بين الرجل والمرأة. ودعا الشاب لكي يسعى إلى هذه العلاقة ويتمتع بها. فكتب قائلًا: «إشرب مياهًا من جيبك، ومياهًا جارياً من بئرك. لا تفض ينابيعك إلى الخارج، سواقي مياه في الشوارع. لتكن لك وحدك، وليس لأجانب معك. ليكن ينبوعك مباركاً، وأفرح بامرأة شبابك» (أمثال ٥: ١٥-١٨). أكد سليمان الحكيم هنا على أهمية الزواج كأساس لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة. وأن على الشاب أن ينظم هذه الطاقة الجنسية التي أوجدها الله في جسده عن طريق الزواج. ولهذا دعا لكي يتمتع بامرأة شبابه، وأن يسكر بمحبتها دائماً، وهكذا يكون ينبوعه مباركاً.

هل تعلم قارئتي أن الله قد قدس الزواج منذ البداية؟ الأمر الذي عاد وأكد العهد الجديد. إذ نقرأ

حاجاته الأساسية؟

ثم شبه سليمان الحكيم خطيئة الزنا بالنار التي تحرق. فكتب قائلًا: «أياخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه؟ أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه؟ هكذا من يدخل على امرأة صاحبه. كل من يمسها لا يكون بريئاً» (أمثال ٦: ٢٧-٢٩).

أجل، إن خطيئة الزنا، كالذي يضع ناراً في حضنه، أو يمشي على الجمر. وبالطبع في مثل هذه الحالة لا بد أن تحترق ثيابه، لا بل يحرق جسده، وتكتوي رجلاه. وأن يزني الإنسان معناه أيضاً أن يأخذ امرأة إنسان آخر ليست له، وهذا قمة الشر والخطيئة. هل تعلم قارئتي أن خطيئة الزنا لا تدمر حياة الإنسان فحسب، بل تدمر حياة الآخرين أيضاً؟

وتابع سليمان الحكيم تحذيراته من خطيئة الزنا فكتب قائلًا: «لا يستخفون بالسارق ولو سرق ليُسبغ نفسه وهو جوعان. إن وجد يرد سبعة أضعاف، ويعطي كل قنية بيته. أما الزاني بامرأة فقديم العقل. المهلك نفسه هو يفعله. ضرباً وخزياً يجد، وعاره لا يمحي. لأن الغيرة هي حمية الرجل، فلا يشفق في يوم الانتقام. لا ينظر إلى فدية ما، ولا يرضى ولو أكثرت الرشوة» (أمثال ٦: ٣٠-٣٥).

إن السارق الذي يسرق لا بد أن يعاقب على سرقة، حتى ولو كان جائعاً. وعليه أن يرد ما سرقة سبعة أضعاف بحسب شريعة العهد القديم. لأن السرقة هي اعتداء على أملاك الغير. فإذا كانت هذه هي نتيجة السارق، فكم بالحري تكون عواقب الزاني بامرأة غيره؟ لن يستطيع حماية نفسه من الانتقام، حتى ولو حاول دفع مبلغ كبير من الفدية والرشوة.

وخصص سليمان الحكيم الأصحاب السابع للحديث عن الدرس الثاني عشر من دروس الحكمة. حيث وصف الشاب الذي يُخدع بالمرأة الزانية كالثور الذي يذهب إلى الذبح، أو كالطير الذي يسرع

في سفر العبرانيين الآية المقدسة التالية: « لِيَكُنِ
الزَّوْجُ مُكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ.
وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزَّانَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللَّهُ»
(العبرانيين ٤: ١٣) إن الزواج إذن مقدس عند الله،
وهو الذي ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة.

وختم سليمان الحكيم تحذيراته ونصحااته للشباب
قائلاً: « لَأَنَّ طُرُقَ الْإِنْسَانِ أَمَامَ عَيْنِي الرَّبِّ، وَهُوَ
يَبْرُنُ كُلَّ سُبُلِهِ. الشَّرِّيرُ تَأْخُذُهُ آثَامُهُ وَيَحْبَالُ خَطِيئَتِهِ
يُمْسِكُ. إِنَّهُ يَمُوتُ مِنْ عَدَمِ الْأَدَبِ، وَيَفْرِطُ حُمْقِهِ
يَتَهَوَّرُ (أمثال ٥: ٢١-٢٣). أكد سليمان الحكيم هنا أن
الله يرى ويلحظ دائماً طرق الإنسان ويتفحصها
ويزنها. وإذا أصرَّ الإنسان على السلوك في طريق
الشر، فهو لا بدَّ أنه سيحصل نتيجة آثامه وخطاياها،
ويغدو ضحية عناده وشره. ففي أي الطريقين تسلك
صديقي الشاب، طريق الصلاح أم طريق الطلاح؟